المقتطف

الجزء السادس من السنة الحادية والعشرين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٨٩٧ الموافق ١ محرم سنة ١٣١٥

البحث الشرقي في باريس

للسيد السنوسي الترنسي من طلبة العلوم السياسية بباريس

في مدينة باريس على الضفة اليسرى من نهر السين دار رحبة شاهقة تسمّى دار الجمعيات العلميّة او مجامع العلماء تشتمل على عدّة دوائر وغرف مختلفة السعة والترتيب منها ما هو للتدريس والخطابة والمباحثات والمطالعات والتجارب في الكيمياء والطب والطبيعيات ، ومنها ما هو للتمثيل والرقص والملاكمة والمبارزة والولائم والحفلات

وفي هذه الدار عدا الجمعيات الموقتة اربعون جمعيّة علميّة دائمة تعقد اجتماعاتها اياماً معينة في الاسبوع او الشهر ولكل منها مطالب تسعى في ترويجها ومقاصد تروم الوصول اليها

فمن جملة تلك الجمعيات الدائمة جمعية نشر اللغات الاجنبيّة في فرنسا وغايتها تسهيل انتشار اللغات الاجنبيّة بين الفرنسويين لترويج تجارتهم وتسهيل اخذهم وعطائهم مع بقيّة الامم فهي تعلم الانكليزية والالمانيّة والروسيّة والايطاليّة والاسبانيّة والعربيّة وتُلقي في كل لسان من هذه الالسنة خطباً رنانة ودروساً مفيدة وتمثل روايات تاريخيّة ومهزليات حكميّة وتنشد اشعار كل امة من تلك الامم وتقص اخبارها ليتمكن الطالب من الوقوف على جميع مزايا اللغة التي يحصلها فيدرك اصطلاحاتها الخاصّة والعامّة ويطلع على آدابها ومعانيها وشواهدها وشواردها ويكون كالمقيم بين المتكلمين بها بلا تكلف مشاق السفر الى بلادهم

والعهد قريب كان درس اللغة العربيّة قاصراً على تعليم القراءة والقواعد النحوية ولم يقرر فيها درس ولا جرى فيها بحث . وفي السنة الماضية كلفت الجمعيّة السيد محمد روحي الخالدي المقدسي

عمل بحث (قونفرانس)[1] باللغة العربيَّة فاجاب طلبها وبحث في تاديها عن " الاسلام في هذه الايام " بحثاً طويلاً مدققاً تناولت شيئاً منهُ بعض الجرائد العربيَّة في مصر وسورية والجرائد الاعجميَّة في باريس وغيرها . فلما رأت الجمعيَّة رواج بحثهِ واقبال الناس عليهِ التمست منهُ العود الى ذلك في هذه السنة ايضاً واعدت لهُ غرفة اعظم من غرفة السنة الماضية

وفي الساعة الثامنة من مساء يوم الثلاثاء ٦ ابريل (نيسان) اقبل المدعوون على اختلاف اجناسهم ولغاتهم وازيائهم الى حجرة البحث فاستقبلهم كاتم اسرار الجمعيَّة المسيو رو بير ورحَّب بهم واجلسهم في مقاعدهم فكنت ترى من جهة ابناء اللغة العربيَّة بين مصريين وسوريين وتونسيين واهل الجزائر ومراكش والصحراء وجزائر قومور بالبستهم الوطنية وبرانسهم وجبهم وعمائمهم وغيرهم من المسلمين من ترك وارنؤود وترى من جهة اخرى المستشرقين على اختلاف طبقاتهم واجناسهم بين فرنسوي والماني وانكليزي وروسي وايرلندي ومترجمي الوزارات وطلبة مدرسة الالسن الشرقيَّة ومدرسة العلوم الشرقية ومدرسة احبار اليهود ومدرسة المستعمرات ومدرسة العلوم العالية وغيرها من المدارس التي تدرَّس فيها اللغة العربيَّة . فكانت تلك الحجرة الفاصَّة بالمجتمعين اشبه بمعرض لنوع الانسان عُرِضَ فيهِ واحد او اكثر من كل قوم من اقوام الشرق والغرب . ولم يخلُ هذا المجتمع من السيدات المقبلات على تحصيل اللغة العربيَّة والمعارف الاسلامية . وعدد الجميع اكثر من مئتي نفس عد الواقفين على النوافذ والابواب

وبعد التمام الجمع دخل العلاَّمة ديرنبورغ المدير الثاني في مدرسة العلوم العالية وجلس على كرسي الرئاسة الموضوع امام مائدة مستطيلة وجلس على يمينهِ صاحب القونفرانس السيد محمد روحي الخالدي وسيفي اثناء ذلك دخل نائب ايالة روب لدى مجلس نواب الجمهورية الفرنسوية بعمامتهِ وبرنسهِ وهو الدكتور غرينيه الفرنسوي الذي اعتنق دين الاسلام ودخل معهُ كاتبهُ وجماعة من الجزائر وجلس عن يسار الرئيس ثم حضر امير جزائر قومور التي بين جزيرة مدغشكر وساحل افريقية الشرقي وهي تابعة لفرنسا واسمهُ البرنس يوسف بن علي وهو في الخامسة والعشرين من عمرهِ اسمر اللون عربي اللحية لابس جبَّة وعمامة وفي منطقتهِ خنجر

---

(١) القونفرانس Conférence في اصطلاح القوم اجتماع اناس للبحث في مسألة علم المام بها ويكون الباحث فيها قد اعدَّ كل ما يتعلق بشرحها وتوضيحها . وهو اما سياسي كاجتماعات سفراء الدول ومرخصيها للبحث في المسائل السياسية . واما علمي كاجتماع كل فريق من فرق اهل العلم للبحث في المسائل العلمية والتدقيق فيها . فاذا التأم الجمع رأس احدهم الاجتماع وفتح الجلسة بما يناسبها من الكلام ثم اعطى القول للباحث فيشرح المسألة ويوضحها قدر استطاعتهِ

منفض وتلوح عليهِ لوائح الامارة والسؤدد وهو يحسن التكلم بالفرنسوية وحضر معهُ بعض اهالي الجزيرة وجلس عن يمين الخطيب

وافتتح الرئيس الجلسة وناه بخطبة فرنسوية انيقة تكلم فيها عن اساس المسألة الشرقية وفصّل الكلام عن الحروب الصليبيَّة ثم قدَّم الخطيب الى الحضور وقال انهُ من اولاد خالد ابن الوليد فاتح سورية في خلافة ابي بكر واثنى عليهِ وعلى ما قالهُ في خاتمة بحثهِ التالي وهو " في ناتزم في كروازار " *Ni fanatism ni croiseur* اي لا تعصُّب ديني ولا حرب صليبيَّة. وقال لا عجب اذا ابدى لنا الخطيب ذلك في ايام اصبحنا الجرائد فيها اهوالاً فانهُ من عائلة مقيمة في القدس منذ قرون وقد اشتهر اباؤهُ واجدادهُ من قديم الزمان بالحماة عن المسيحيين ولا سيما اثناء الحروب الاهلية مع بلوغ بعضهم اعلى المراتب الدينية الاسلامية كمشيخة الاسلام وقضاء العسكر . وقد عرفتُ من هذه العائلة يوسف ضياء الدين باشا الذي ترجمتهُ الجرائد الباريسية في هذه الايام . وقد جُرح هذا الرجل مرتين وهو يسعى في الصلح بين الطوائف المسيحية في كنائس القدس وبيت لحم لاشتداد المقاتلة (المناظرة) بينها على الاماكن المقدسة . فهذا يدلكم على ان في المسلمين عيالاً بعيدة عن التعصب مخبَّة للانسانية عائشة مع جيرانها المخالفين لها ديناً بالمحبة والوئام . ثم التفت إلى السيد روحي الخالدي فشرع في خطبتهِ وقال

ايها السيدات والسادة

اني اشاهد بكل سرور رواج لغة القرآن بينكم وتزايد اقبالكم عليها اناثاً ورجالاً كلَّ سنة عمَّا قبلها ولا غرو في ذلك فانها لغة اثني عشر مليوناً تابعين لجمهوريتكم الفرنسوية او تحت حمايتها . وكلما تعمقتم في درسها انكشفت لكم من اسرار الشرق كنوز مخفيَّة وزال عنكم ما تتوهمونهُ عن دين اهالي المشرق واخلاقهم الاجتماعيَّة

والفضل في انتشار هذه اللغة بينكم هو لاساتذتها الساعين في ترقيتها والمقبلين على تحصيلها ومن اولئك الاساتذة رئيس هذه الحفلة المسيو ديرنبورغ مفسّر القرآن في دار فنون صوربون فهو يستخرج لنا كل سنة انفس الكتب العربيَّة القديمة ويصححها ويشرحها ثم ينشرها بين الطلاَّب وممَّا اتحفنا بهِ اخيراً كتاب النكت العصريَّة في اخبار الوزراء المصرية لعمارة اليمني وقبلهُ كتاب الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية لابن طباطبا وكتاب العصر لاسامة بن منقذ . والكتاب ليديويه ومجموعة في المسائل الحيرية وغير ذلك من الآثار المفيدة فليشكرهُ العلم والعرب وجمهور المسلمين على مساعيهِ النافعة

ومن الساعين في نشر هذه اللغة جمعيَّة نشر اللغات الاجنبية التي انتدبتني لهذا

القونفرانس مع عدم اهليتي فاشكرها خاصة واشكركم جميعاً على تشريفكم في هذه الليلة المأنوسة وارجو ان يولد درس اللغة العربية وآدابها في قلوبكم ميلاً إلى هذه اللغة كما ولد فيكم درس اليونانية هياماً بمن يدَّعون انهم من نسل اولئك الفلاسفة العظام الذين حفظت الحرب كل علومهم وآدابهم

وقد اخترت بعد مذاكرة الرئيس والجمعية ان اعرض على مسامعكم واشرح لكم اساس المسألة الشرقية وما كانت عليهِ في اوائل القرن الثامن عشر وما تقدمهُ من القرون ثم اعرض عليكم في جلسة اخرى منشأ العلاقات الوديَّة بين دولة فرنسا والخلافة الاسلامية

وهنا فصَّل الخطيب الكلام على اساس المسألة الشرقية وشرحها شرحاً وافياً وختم بحثهُ قائلاً فيؤخذ مما تقدم ان اساس المسألة الشرقية هو المناظرة بين اقوام الشرق واقوام الغرب وكرُّ الاولى وفرُّ الثانية من امامها ثم فر الاولى وكر الثانية عليها فهما كالبحرين الزاخرين ان مدَّ هذا جزر ذاك وان مدَّ ذاك جزر هذا . والدين اعظم مروِّج لهذه المناظرة وهو يد اصحاب الخروج والدعوى آلة يسوقون بها الاقوام للحرب والضرب وتخيير البلاد وسبي العباد . ومع هذا يبقى لنا الاعتراف بان الدين ليس سبباً مستقلاً لتلك المناظرة بل الطمع يقود الى الحرب والعداوة اكثر من التعصب الديني . يحكى ان الدون سانس بن الفونس ملك قشتالة لما نصبهُ البابا رئيساً على الحرب الصليبية الثانية ورسمهُ ملكاً على مصر تهلل وجه الحاضرين بالبشر وهتفوا فرحين فسأل الدون ترجمانهُ وكان يجهل اللاتينية عن سبب هتافهم فاجابهُ انهم فرحون برسمك ملكاً على مصر فقال للترجمان "وانت لا تكن ناكراً لهذا الجميل فتم واعان قداسة البابا خليفة على بغداد". فهذا يدلنا على ان ذهاب الصليبيين الى سورية وفلسطين لم يكن لتخليص قبر السيد المسيح كما يتوهم ذوو العقول السادجة بل لفتح البلاد وتقلُّد امارتها

ونحن الآن ايها السادة في نهاية عصر راجت فيهِ سوق العلم والحضارة وزالت عن ابصار كثير من بني الانسان الغشاوة ومع هذا نرى بكل اسف آثاراً للتعصب الشرقي والافكار الصليبية الغربية وكلاهما من بقايا الازمنة المتوسطة . فعار على الانسانية التي تخطو في كل جيل خطوة الى الامام ان يبقى فيها شائبة من آثار الازمنة المظلمة وعيب على ذوي العقول الزكية ان يروِّجوا مطالبهم بآلتين تزرعان الفتن والعداوات بين سكان ارض مشتركة او بلاد واحدة . ونرجو ان تبدل الحال باحسن منها في العصر المقبل الذي سيفوق ما تقدَّمهُ من العصور علماً وحضارةً ونجاحاً وانتظاماً ونقول فيهِ بلسان واحد " لا تعصب اسلامي ولا حرب صليبية — في نانزم في كروازار "

فصفق له الحضور استحساناً وشكره الرئيس وختم الجلسة . فقام الناس بسلامون ويسلمون ثم انصرفوا شاكرين

الدلفين

وصفنا الحيتان في الجزء الماضي وذكرنا المشهور من طبائعها وقد بقي منها نوع نراهُ سكان هذا القطر الذين يصيفون في رأس البر وجيحطفون لعبهُ في الماء ووثوبهُ وغوصهُ كأنهُ ظبي يسرح ويمرح في البيداء ويسمون اقاصيص البحار عنهُ واجماعهم على تحريم صيدهِ . ذلك هو الدلفين المشهور في حيوانات الاقدمين فقد اعتقد اليونان انهُ مكرس لابوسوانهُ يجرُّ مركبة امفيتريتي الهة البحر وانهُ حمل اريون الغنيّ على ظهرهِ ونجاهُ من الغرق فلذلك وُضع بين كواكب السماء

وكان اليونية يتيمنون برؤيتهِ وان كان دليل الانواء لانهم اذا عاموا بدنو الريح لجأوا إلى مرفإ امين قبل حدوثها فنجوا من مخاطرها

والدلفين من الحيتان فيلد مثلها ويرضع صغارهُ ويتنفس الهواء ولكنهُ صغير بالنسبة اليها ولو كان كبيرًا بالنسبة الى الاسماك فيبلغ طولهُ مترين او ثلاثة وبعض انواعهِ يبلغ خمسة امتار ولهُ في ظهرهِ زعنفة كبيرة تظهر فوق الماء كشفرة مثلثة وهو انواع كثيرة اشهرها الدلفين العادي وهو كالزق المنفوخ لا رقبة لهُ ولهُ كمنار الطائر وفي فكيهِ اسنان كثيرة من اربعين إلى خمسين وستين على كل جانب ولونهُ الظاهر اسود او اكمر من ظهرهِ والباطن من بطنهِ . وهو الذي يكثر تصويرهُ في الصناعة . ويجتمع اسرابًا كبيرة تتبع السفن في البحار تلعب حولها وتثب في الماء جذلة مسرورة كأنها تتباح الى رؤية الانسان وهي تثب فوق الماء بضع اقدام او اكثر فتقع على ظهر السفينة لشدة جذلها . والانثى تلد واحدًا فقط كل توبة وترضعهُ وترأمهُ كالحيوانات الثديية . وسائر انواع الدلفين مختلفة شكلاً ومتفقة طباعًا بعضها يسكن البحر وبعضها يسكن الانهار وبعضها يسكن الخلجان حيث يلتقي ماء البحر بماء الانهار . ومنها نوع يكون في نهر الكنج ببلاد الهند وهو اعمى لا يبصر ولا حاجة الى البصر لان ماء ذلك النهر عكرٌ جدًا لا يرى فيهِ شيء . وثلاثة انواع في نهر الامازون باميركا الجنوبية والاهالي يحترمون صيدها . ونوع في نهر لابلاتا باميركا ايضًا وهو صغير لا يزيد على